مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
P- ISSN: 3007-3650 E- ISSN: 2706-8536
Journal of the College of Basic Education Vol.32 (No.139) 2026, pp.736-747

سرد المكان المفقود: بغداد بين اليوتوبيا المستعادة والديستوبيا المعيشة في الرواية العراقية بعد 2003

م.م. سيناء ماجد محمود
المديرية العامة لتربية بغداد / الكرخ الأولى

مستخلص البحث:

يتناول هذا البحث تمثيلات بغداد في الرواية العراقية بعد عام 2003 بوصفها مكانًا مفقودًا، أي فضاءً تتهدّد هويتَه السردية والتاريخية عملياتُ التفكك والعنف والتهجير. ولا ينهض البحث على سؤال وصفي عامّ، بل على ثلاث فرضيات يختبرها في النصوص: الأولى أنّ فقدان المكان في هذه الروايات ليس موضوعةً مضمونية تُضاف إلى الحكاية، بل تحوّلٌ في البنية السردية ذاتها يتجلى في انهيار الحدّ السيميائي الفاصل بين الداخل والخارج، وبين الحيّ والميت، وبين الضحية والجلاد. والثانية أنّ الحنين إلى بغداد ما قبل الحرب يعمل في هذه النصوص عملَ يوتوبيا ارتجاعية، أي مقياسٍ لحجم الفقد لا برنامجَ استعادةٍ للماضي، وأنّ النصوص الأنضج هي التي تنقد يوتوبياها بدل أن تستسلم لها. والثالثة أنّ هذه الروايات لا تقف عند التمثيل الديستوبي للخراب، بل تُنتج خرائط بديلة للانتماء تعوّض انهيار الخريطة المرجعية للمدينة.

ويعتمد البحث مرجعية منهجية واحدة حاكمة هي السرديات المكانية في صيغتها اللوتمانية القائمة على مفهوم الحدّ السيميائي، مسنودةً بمفهوم الكرونوتوب الباختيني بوصفه مشغِّلًا زمنيًا-مكانيًا، ويستدعي ما عداها من المفاهيم بوصفها أدوات إجرائية محدودة الوظيفة لا أطرًا موازية. ويطبّق ذلك عبر قراءة قريبة لعيّنة روائية عراقية صدرت بين 2003 و2024، بتتبع أربعة مصاديق نصية: تفكك الحدّ، واليوتوبيا الارتجاعية، والفضاء المغلق داخل الفضاء المفتوح، والأنقاض بوصفها أرشيفًا. وخلص البحث إلى أنّ سرد المكان المفقود لا يكتفي بتأبين مدينة منكوبة، بل يحوّل الخراب إلى أرشيف للذاكرة الشاهدة ومختبرٍ لتخيّل مدينيّة ممكنة، وأنّ إعادة كتابة بغداد سرديًا تشكّل فعل مقاومة جماليًا ومعرفيًا للمحو.

الكلمات المفتاحية: بغداد؛ السرد المكاني؛ الحدّ السيميائي؛ اليوتوبيا؛ الديستوبيا؛ الذاكرة الحضرية؛ الرواية العراقية بعد 2003.

المقدمة

تُختزل بغداد في كثير من الكتابات، الأدبية منها والنقدية، في ثلاث صور متواترة: مدينة المنصور الذي خطّها عاصمةً مدوّرة، ومدينة الرشيد التي ازدهرت في عهده، ومدينة ألف ليلة وليلة. وهذا الاختزال – على شيوعه – يستدعي مراجعة، لأنه يردّ المدينة إلى سلطتها وأسطورتها معًا، ويُسقط الطبقة التي منحتها قيمتها الحضارية الفعلية. فبغداد التي يشتغل عليها هذا البحث هي، قبل ذلك وبعده، مدينة حركة الترجمة وبيت الحكمة التي نقل فيها حنين بن إسحاق وثابت بن قرة تراث اليونان إلى العربية، ومدينة الخوارزمي الذي أسّس علم الجبر، والكندي الذي فتح باب الفلسفة في الإسلام، والجاحظ الذي أرسى نثرًا عربيًا جديدًا، والطبري في التاريخ والتفسير، وأبي حنيفة في الفقه، والجنيد في التصوف. وهي مدينة المدرسة النظامية ثم المستنصرية، ومدينة سوق الورّاقين الذي كان جهازًا مدينيًا لإنتاج المعرفة وتداولها لا مجرد سوق.

مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
P- ISSN: 3007-3650 E- ISSN: 2706-8536
Journal of the College of Basic Education Vol.32 (No.139) 2026, pp.736-747

وليست هذه المراجعة استطرادًا تاريخيًا خارج موضوع البحث، بل هي شرط منهجي فيه. ذلك أنّ البحث يفترض أنّ ما تستعيده الرواية العراقية بعد 2003، حين تستعيد بغداد، ليس سلطة المنصور ولا ترف الرشيد، بل هذه الطبقة المدينية-المعرفية بالذات: المدرسة، والمكتبة، والشارع الذي يُمشى فيه آمنًا، والجار الذي يختلف عنك في الملّة ويقاسمك السلّم. ومن هنا فإنّ تصحيح صورة بغداد التاريخية هو في الوقت نفسه تحديدٌ دقيق لمضمون اليوتوبيا التي تتحسّر عليها هذه النصوص. أما الاكتفاء بالصورة السلطوية-الأسطورية فيقود التحليل إلى قراءة الحنين بوصفه حنينًا إلى مجدٍ إمبراطوري، وهي قراءة تخون النصوص.

غير أنّ أحداث عام 2003 وما أعقبها من احتلال وانفلات أمني وعنف طائفي وتهجير قسري أحدثت قطيعة جذرية في علاقة السكان بمدينتهم. ولم يكن ما جرى تدميرًا للبنية العمرانية وحدها، بل إعادة تقسيم للمدينة على أساس هوياتي، وإحلالًا للحاجز الكونكريتي ونقطة التفتيش محلّ الشارع والساحة بوصفها أدوات تنظيم الفضاء. وهنا يصبح المصطلحان اللذان يشتغل عليهما هذا البحث ـ اليوتوبيا والديستوبيا ـ ضرورةً تحليلية لا زينةً اصطلاحية: فالمدينة الروائية بعد 2003 تُكتب على محورٍ يمتدّ بين ماضٍ يُستعاد بوصفه فردوسًا مفقودًا، وحاضرٍ يُكتب بأدوات السرد الديستوبي من انغلاق الفضاء وتشيّؤ الإنسان وانقلاب النظام العقلاني للمدينة إلى نظام عبثي.ومن هذا التوتر بين قطبي المحور ينطلق البحث، لا ليصف الفقد، بل ليختبر ثلاث فرضيات في نصوصٍ بعينها.

فرضيات البحث

يستبدل هذا البحث بالقالب الوصفي القائم على تعداد الأهداف والحدود بناءً قائمًا على فرضيات قابلة للإثبات أو التعديل بالنص. والفرضيات ثلاث:

الفرضية الأولى: فقدان المكان تحوّلٌ بنيوي لا موضوعة مضمونية.

إنّ ما يفعله السرد العراقي بعد 2003 ليس إضافة موضوعة «المدينة المدمّرة» إلى حكاية قائمة، بل إعادة بناء البنية السردية على أساس انهيار الحدّ السيميائي الذي كان يفصل الداخل عن الخارج. ومصداق ذلك النصّي متوقّع في ثلاثة مواضع: انهيار الحدّ بين البيت والشارع، وبين الحيّ والميت، وبين الضحية والجلاد.

الفرضية الثانية: الحنين يعمل عمل يوتوبيا ارتجاعية، والنصّ الأنضج ينقد يوتوبياه.

لا تستعيد هذه الروايات بغداد ما قبل الحرب بوصفها ماضيًا قابلًا للعودة، بل بوصفها مقياسًا يُقاس به حجم الفقد. ويتوقع البحث أن يميّز النصّ الذي يكتفي بتمجيد الماضي من النصّ الذي يكشف هشاشة تلك الصورة نفسها، وهو تمييز نوعي بين مستويين من الكتابة لا بين موقفين سياسيين.

الفرضية الثالثة: النص ينتج خريطة بديلة لا صورة خراب فحسب.

حين تنهار الخريطة المرجعية للمدينة، تُنتج النصوص خرائط تعويضية للانتماء: خريطة ذاكرة، أو خريطة قرابة، أو خريطة رقمية افتراضية. ومصداق هذه الفرضية هو أن يُعثر في النص على بنية مكانية بديلة مكتملة الوظيفة، لا على مجرد حنين.

مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
P- ISSN: 3007-3650 E- ISSN: 2706-8536
Journal of the College of Basic Education Vol.32 (No.139) 2026, pp.736-747

الدراسات السابقة

أولا: مسار دراسات المكان السردي

حظي المكان في النقد العربي الحديث بعناية متزايدة منذ ترجمة كتاب غاستون باشلار «جماليات المكان» (باشلار، 1984) الذي فتح أفق دراسة الأبعاد الحميمة للفضاءات المعيشة. وفي حقل السرديات قدّم لحمداني (2000) عرضًا منهجيًا لمكونات البنية السردية ومنها الفضاء الروائي، وخصّ بحراوي (2009) الفضاء بمبحث مستقل في «بنية الشكل الروائي»، وتناول حمداوي (2010) العلاقة بين السيميولوجيا والسرد المكاني بوصف المكان نظامًا علاميًا منتجًا للدلالة، ودرس النعيمي (2016) إشكالية المكان في النص الأدبي من زاوية نظرية تطبيقية. غير أنّ هذا المسار كلّه اشتغل على المكان بوصفه مكوّنًا بنائيًا عامًا، ولم يربطه بسياق ما بعد الحرب في العراق.

ثانيًا: مسار دراسات اليوتوبيا والديستوبيا

وهو المسار الذي أغفلته الدراسات السابقة على هذا الموضوع، مع أنّه لا يستقيم تحليل بغداد الروائية بعد 2003 من دونه. وقد استقرّ في هذا الحقل تمييزٌ أساسي بين اليوتوبيا بوصفها بنية سردية قائمة على مكان مغلق كامل التنظيم (tas,Levi 1990؛ Kumar, 1987)، والديستوبيا بوصفها انقلابًا على تلك البنية لا نقيضًا لها فحسب: فالمكان الديستوبي يحتفظ بالانغلاق ويفقد التنظيم العقلاني، ويتحول من ضامنٍ للمعنى إلى منتجٍ للعبث (Claeys, 2017). وقد ميّز موايلن (Moylan, 2000) بين الديستوبيا المغلقة التي تنتهي إلى استسلام كامل، والديستوبيا النقدية التي تُبقي في داخلها بذرة مقاومة – وهو تمييز مركزي في هذا البحث، لأنّ الفرضية الثالثة تفترض أنّ الرواية العراقية تنتمي إلى النمط الثاني. كما بيّنت ڤييرا (Vieira, 2010) أنّ اليوتوبيا قد تعمل في اتجاه ارتجاعي، فتُسقط صورة الكمال على ماضٍ لا على مستقبل، وهو ما تقوم عليه الفرضية الثانية.

أما في السياق العربي والعراقي، فقد لُوحظ تحوّل السرد العراقي بعد 2003 نحو أنماط تقترب من الديستوبيا والقوطية والفانتازيا السوداء بوصفها استجابةً لواقعٍ تعذّرت كتابته واقعيًا، ومن أوضح تجليات ذلك المشروعُ الجماعي الذي تخيّل فيه كتّاب عراقيون بلادهم بعد قرن من الاحتلال (Blasim, 2016)، وما رافقه من اشتغال نقدي على الخيال العلمي والديستوبي العربي بوصفه أداة نقد سياسي مقنّعة (Campbell, 2018).

ثالثًا: موقع البحث من المسارين

يقع هذا البحث في منطقة التقاطع غير المطروقة بين المسارين: فدراسات المكان السردي العربية لم تُدخل الجهاز المفاهيمي لليوتوبيا/الديستوبيا في تحليلها، ودراسات الديستوبيا العربية اشتغلت غالبًا على المضمون السياسي لا على البنية المكانية. ويقترح البحث الحالي جسرًا بينهما: قراءة الحدّ السيميائي (لوتمان) بوصفه المفصل الذي يتحوّل عنده المكان اليوتوبي إلى مكان ديستوبي، وتطبيق ذلك على متن روائي عراقي محدّد.

مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
P- ISSN: 3007-3650 E- ISSN: 2706-8536
Journal of the College of Basic Education Vol.32 (No.139) 2026, pp.736-747

المرجعية المنهجية وإجراءات التحليل

المرجعية الحاكمة

يلتزم البحث مرجعيةً واحدة حاكمة هي السرديات المكانية في صيغتها اللوتمانية (Lotman, 1990)، القائمة على أنّ النصّ يُبنى بوصفه فضاءً سيميائيًا تقسّمه حدود، وأنّ الحدث السردي في جوهره هو عبورُ شخصيةٍ لحدٍّ كان يُفترض أن يكون غير قابل للعبور. ويترتب على ذلك أنّ انهيار المدينة، سرديًا، لا يُقاس بمقدار الخراب الموصوف، بل بمقدار ما فقده الحدّ من قدرته على الفصل. ويُسند البحث هذه المرجعية بمفهوم الكرونوتوب عند باختين (Bakhtin, 1981) بوصفه مشغِّلًا يربط تعطّل الحدّ المكاني بتعطّل الزمن في النص.

ما يُستدعى بوصفه أداةً محدودة الوظيفة

تجنّبًا لتكديس المرجعيات، يحدّد البحث مسبقًا وظيفة كل مفهوم مستعار وحدودَه: يُستدعى تمييز لوفيڤر (Lefebvre, 1991) بين الفضاء المتصوَّر والفضاء المعيش في موضع واحد فقط هو تحليل المنطقة الخضراء والحاجز، لبيان الفجوة بين المدينة كما تخطّطها السلطة والمدينة كما تُعاش. ويُستدعى مفهوم أمكنة الذاكرة عند نورا (Nora, 1989) في تحليل الخرائط البديلة وحده. أما مقاربة باشلار الظاهراتية للبيت فيُستأنس بها في موضع البيت خاصة ولا يُبنى عليها تحليل، لأنها تفترض بيتًا آمنًا وهو ما ينتفي في المتن المدروس. وما عدا ذلك مما ورد في أدبيات الحقل – من دو سيرتو وسوجا وهالبفاكس – فمذكور في الدراسات السابقة ولا يدخل في جهاز التحليل.

إجراءات التحليل

يجري تحليل كل نصّ في أربع خطوات متسلسلة: (1) تعيين الحدّ المكاني الفاعل في النص، (2) رصد لحظة اختراقه أو انهياره سرديًا، (3) تحديد المعادل البنيوي لذلك الانهيار في تقنيات السرد من تقطيع زمني وتعدد أصوات وتبئير، (4) مقابلة النتيجة بالفرضية المعنية إثباتًا أو تعديلًا.

العيّنة ومسوّغات اختيارها وحدودها

اختيرت العيّنة وفق ثلاثة معايير: حضور بغداد بوصفها مركزًا سرديًا لا خلفية، والتنوّع الزمني عبر العقدين، والتنوّع في المقاربة الفنية بين الواقعية والفانتازيا والتوثيقية. ويُقرّ البحث بحدود عيّنته صراحةً: فهي عيّنة قصدية لا إحصائية، ولا تدّعي تمثيل المشهد الروائي العراقي كلّه، وإنما تمثيل الأنماط السردية الأربعة التي تختبرها الفرضيات. وسيُشار في مواضعه إلى الأعمال التي يقتصر استدعاؤها على موتيف بعينه من دون أن تكون بغداد مركزها السردي، تفاديًا لتعميمٍ لا يحتمله النص.

التحليل التطبيقي

المبحث الأول: انهيار الحدّ السيميائي في «فرانكشتاين في بغداد»

تقدّم رواية أحمد سعداوي «فرانكشتاين في بغداد» (سعداوي، 2013) المصداق الأوضح للفرضية الأولى، لأنها تنقل انهيار الحدّ من مستوى الموضوع إلى مستوى البناء. فالفضاء الذي تدور فيه أحداثها – حي البتاوين – ليس اختيارًا عشوائيًا: فهو حيّ بغدادي هجين، احتفظ في نسيجه ببقايا التعدد الطائفي والقومي الذي ميّز المدينة، وتسكنه في الرواية العجوز الآشورية إيليشوا إلى جوار هادي العتاگ بائع الخردة، وتقوم فيه فنادق متهالكة تختصر انحدار المدينة من

مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
P- ISSN: 3007-3650 E- ISSN: 2706-8536
Journal of the College of Basic Education Vol.32 (No.139) 2026, pp.736-747

مركزيتها. وبهذا المعنى يعمل البتاوين في النص عمل سيميوسفير مصغّر: نموذجٌ للمدينة المتعددة في نسختها المتآكلة. أما الحدّ الأول الذي ينهار فهو الحدّ بين الجسد والجسد. فالشخصية المركزية التي يصنعها هادي من أشلاء ضحايا التفجيرات، والمعروفة في النص باسم «الشسمه»، ليست كائنًا فانتازيًا مضافًا إلى الحكاية، بل هي استعارة بنيوية دقيقة: جسدٌ واحد مركّب من ضحايا ينتمون إلى طوائف وأصول متباينة، أي مدينةٌ فقدت الحدود الفاصلة بين مكوّناتها فلم يبقَ منها إلا التصاقٌ قسري للأشلاء. وهنا يتطابق المستوى الجسدي بالمستوى المديني تطابقًا تامًا: بغداد نفسها جسدٌ مقطّع يُعاد تركيبه بغير نظام.

والحدّ الثاني هو الحدّ بين الحيّ والميت. فالكائن المركّب يستمدّ حياته من موت أصحابه، ويتحرك في المدينة بوصفه ميتًا يمشي، فتفقد الثنائية التي تقوم عليها كل سردية تقليدية – الحياة في مقابل الموت – قدرتها على تنظيم عالم النص. وهذا بالضبط ما يجعل الرواية تنتمي إلى الديستوبيا النقدية لا إلى الفانتازيا: الخرق هنا ليس لعبةً تخييلية بل نتيجةٌ منطقية لواقعٍ صار فيه الموت هو القاعدة المنظِّمة للفضاء العام.

[موضع اقتباس 1] يلزم هنا اقتباس حرفي (3–5 أسطر) من مشهد تجميع الأشلاء أو من تعريف الكائن بنفسه، مع رقم الصفحة، لإسناد القول بانهيار الحدّ بين الحيّ والميت.

والحدّ الثالث، وهو الأخطر دلاليًا، هو الحدّ بين الضحية والجلاد. فالكائن ينهض في النص بمهمة الانتقام لأصحاب أشلائه، غير أنّ أعضاءه تتحلل فيضطر إلى استبدالها بأخرى، فيقتل ليبقى حيًا، فيصير الضحية والجلادَ في آنٍ واحد. وبهذا يقدّم النصّ نموذجًا مكتملًا لدائرة العنف المغلقة: كل انتقام يولّد ضحية جديدة تصير بدورها جزءًا من الجسد المنتقِم. وهذه البنية الدائرية هي المعادل السردي لانسداد الأفق السياسي في المدينة.

ويتضح المعادل البنيوي لهذا كله في تقنيات السرد نفسها: تعدد الرواة وتشظّي البؤرة السردية بين هادي وإيليشوا والصحفي محمود السوادي وضابط دائرة المتابعة والتعقيب، بحيث لا يملك أيٌّ منهم رؤيةً كليةً للمدينة. فالمدينة في النص غير قابلة للرؤية من نقطة واحدة، وهذا هو المقابل السردي الدقيق لانهيار الحدّ: حين تسقط الحدود تسقط معها إمكانية الخريطة.

أما شخصية إيليشوا فتقدّم الوجه الآخر للفرضية: بيتها المغلق الذي ترفض مغادرته، وانتظارها ابنها دانيال المفقود منذ الحرب، يشكّلان كرونوتوبًا مضادًا – زمنٌ متوقف داخل مكانٍ يتآكل من حوله. وهي بذلك تقاوم انهيار الحدّ بتجميده، ومقاومتها محكومة بالفشل لأنها تدفع ثمن بقاء الحدّ عزلةً تامة. وفي هذا إثباتٌ إضافي للفرضية الأولى من طريق النفي: الحدّ الوحيد الباقي في الرواية حدٌّ مصطنع يحفظه الوهم.

ويستحق موقفُ السلطة من المدينة وقفةً بأداة لوفيڤر: فحين تعجز الأجهزة الرسمية في الرواية عن تفسير ما يجري وتستعين بالمنجّمين، نكون أمام أوضح صور القطيعة بين الفضاء المتصوَّر – أي المدينة كما تدّعي السلطة معرفتها – والفضاء المعيش الذي يعرفه سكان البتاوين وحدهم. والسخرية هنا ليست عَرَضًا أسلوبيًا بل حكمٌ معرفي: خريطة السلطة للمدينة لم تعد تصف المدينة.

[موضع اقتباس 2] يلزم اقتباس قصير من مشهد دائرة المتابعة والتعقيب واستعانتها بالمنجّمين، مع رقم الصفحة.

مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
P- ISSN: 3007-3650 E- ISSN: 2706-8536
Journal of the College of Basic Education Vol.32 (No.139) 2026, pp.736-747

المبحث الثاني: اليوتوبيا الارتجاعية والخريطة البديلة في «طشّاري»

تشتغل رواية إنعام كجه جي «طشّاري» (كجه جي، 2013) على الفرضيتين الثانية والثالثة معًا، وتقدّم لهما مصداقين متمايزين. ويبدأ الأمر من العنوان نفسه: فـ«طشّاري» مفردة عامية عراقية تصف الطلقة التي تتشظّى عند إطلاقها فتصيب في اتجاهات متفرقة، وهي في النص وصفٌ لمصير عائلة تبعثرت في القارات، ووصفٌ في الوقت نفسه لبنية الرواية ذاتها المتشظية بين الأمكنة والأزمنة. أي أنّ العنوان يعلن منذ العتبة أنّ التشظّي هنا مبدأ بنائي لا موضوع. أما الفرضية الثانية فمصداقها في الكيفية التي تُستعاد بها بغداد والعراق في وعي الطبيبة وردية إسكندر. فالاستعادة لا تمرّ عبر المعالم السياحية ولا عبر الماضي الإمبراطوري، بل عبر الذاكرة المهنية: المستشفى، والولادات التي أشرفت عليها، والمرضى الذين لم تكن تسألهم عن طائفة. وهذه هي بالضبط اليوتوبيا الارتجاعية التي تفترضها الفرضية الثانية: صورةٌ عن بلدٍ كانت المهنة فيه أقوى من الهوية الطائفية. ولا يقدّمها النص بوصفها ماضيًا قابلًا للاسترجاع، بل بوصفها مقياسًا يُقاس به حجم ما فُقد، وهو ما يفصلها عن الحنين الساذج.

[موضع اقتباس 3] يلزم اقتباس من مشهد استعادة وردية لعملها الطبي في العراق، مع رقم الصفحة، لإسناد القول بأنّ اليوتوبيا هنا مهنية-اجتماعية لا سلطوية.

على أنّ الفرضية الثانية تشترط أن ينقد النصُّ الأنضجُ يوتوبياه. ويتحقق هذا الشرط في «طشّاري» عبر المسافة الساخرة التي يقيمها النص بين صورة الوطن المستعاد وواقع المنفى: فالمنفى ليس جحيمًا خالصًا ولا الوطن فردوسًا خالصًا، والشخصية تعيش في المسافة بينهما لا في أحد طرفيها. وهذا التوازن هو ما يرفع النص من مستوى الرثاء إلى مستوى المساءلة.

أما الفرضية الثالثة فتجد في هذه الرواية مصداقها الأكمل في المقبرة الإلكترونية التي يبنيها ابن الأخت إسكندر على الشبكة، ليجمع فيها موتى العائلة المتفرقين في مقابر العالم. وأهمية هذا العنصر أنه ليس رمزًا ولا استعارة، بل بنيةٌ مكانية بديلة مكتملة الوظيفة: فحين يتعذّر الحدّ الجغرافي ـ أي المقبرة الواحدة التي تجمع الأهل في تربة واحدة ـ يُستبدل به حدٌّ افتراضي يؤدي الوظيفة نفسها في الجمع والتذكّر والزيارة. وبلغة المرجعية المعتمدة: حين ينهار الحدّ المادي يُعاد بناؤه سيميائيًا في فضاء آخر. وهذا هو الفرق الجوهري بين الديستوبيا المغلقة والديستوبيا النقدية بحسب تمييز موايلن: النص لا يكتفي بتسجيل الاستحالة، بل يبتكر بديلًا يعمل.

[موضع اقتباس 4] يلزم اقتباس من مشهد تأسيس المقبرة الإلكترونية أو وصفها، مع رقم الصفحة ـ وهو أهم اقتباسات البحث لأنه دليل الفرضية الثالثة.

مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
P- ISSN: 3007-3650 E- ISSN: 2706-8536
Journal of the College of Basic Education Vol.32 (No.139) 2026, pp.736-747

المبحث الثالث: الفضاء المغلق داخل الفضاء المفتوح ـ الحاجز والمنطقة الخضراء

ينتقل هذا المبحث من النصّ المفرد إلى موتيف عابر للنصوص، هو الفضاء المقسّم. وقد أدخلت التقسيمات الأمنية بعد 2003 عنصرًا معماريًا جديدًا إلى بغداد هو الحاجز الكونكريتي، وسرعان ما تحوّل في السرد من عنصر معماري إلى عنصر سردي كامل الوظيفة: فهو يقطع المسارات، ويطيل الزمن الروائي، ويحوّل الانتقال البسيط من نقطة إلى أخرى إلى حدثٍ محفوف بالاحتمالات. وبمصطلح المرجعية المعتمدة: الحاجز حدٌّ مصطنع أُقحم داخل فضاء كان موحّدًا، فأنتج داخل المدينة الواحدة مدنًا صغيرة مغلقة على نفسها.

ويترتب على ذلك أثرٌ كرونوتوبي واضح: إذ يصير الزمن في النص تابعًا للمسافة الأمنية لا للمسافة الجغرافية، فتُقاس المسافات بعدد نقاط التفتيش لا بالكيلومترات. وهذا التحول في وحدة القياس هو أدقّ مؤشر سردي على أنّ المدينة لم تعد تُعاش بوصفها مدينة واحدة.

أما المنطقة الخضراء فتقدّم أوضح تجسيد للمحور اليوتوبي-الديستوبي الذي يقوم عليه البحث. فهي بنيةٌ يوتوبية بالمعنى الشكلي الدقيق: فضاء مغلق، محروس، كامل التنظيم، منفصل عن محيطه، تتوافر فيه الخدمات التي انعدمت خارجه. غير أنها يوتوبيا مقلوبة، لأنّ شرط وجودها هو حرمان الخارج، ولأنها لا تنتج نموذجًا يُحتذى بل نموذجًا يُحرَس. وبهذا نكون أمام يوتوبيا مغلقة داخل ديستوبيا مفتوحة، وهي صيغة مكانية تلخّص علاقة السلطة بالمدينة بعد 2003 تلخيصًا لا تبلغه المقالة السياسية. وهنا تحديدًا يعمل تمييز لوفيڤر بين الفضاء المتصوَّر والفضاء المعيش عمله الوحيد في هذا البحث: المنطقة الخضراء هي الفضاء المتصوَّر وقد انفصل عن الفضاء المعيش انفصالًا ماديًا بالكونكريت.

[موضع اقتباس 5] يلزم اقتباس من مشهد عبور نقطة تفتيش أو وصف الحاجز في إحدى روايات العيّنة، مع تحديد الرواية ورقم الصفحة.

ويُستدعى في هذا الموضع موتيف الحديقة-المقبرة في رواية محسن الرملي «حدائق الرئيس» (الرملي، 2012)، حيث تتحول الحديقة ـ وهي المكان اليوتوبي بامتياز في الموروث الأدبي ـ إلى مدفنٍ للجثث. ويُنبّه هنا إلى حدٍّ منهجي: فالرواية لا تدور في بغداد بل في فضاء قروي، ولذلك يقتصر استدعاؤها على هذا الموتيف وحده بوصفه شاهدًا على انقلاب دلالة المكان اليوتوبي، ولا تُحسب ضمن العيّنة البغدادية المركزية. وهذا التحفظ مقصود، تفاديًا لتعميمٍ لا يحتمله النص.

مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
P- ISSN: 3007-3650 E- ISSN: 2706-8536
Journal of the College of Basic Education Vol.32 (No.139) 2026, pp.736-747

المبحث الرابع: الأنقاض بوصفها أرشيفًا ـ لغة الخراب ووظيفتها

لا تكتفي النصوص المدروسة بتوثيق الخراب توثيقًا واقعيًا، بل تطوّر له لغةً خاصة تحوّله من مشهدٍ إلى وثيقة. ووظيفة هذه اللغة في ضوء الفرضية الثالثة أنها تجعل الركام أرشيفًا: فالبيت المهدّم لا يُقرأ بوصفه نهايةً، بل بوصفه سجلًا لما كان فيه، ولذلك تتوقف هذه النصوص عند التفاصيل الصغيرة الناجية ـ صورةٌ، أو مفتاح، أو دفتر ـ لأنها العناصر التي تحمل قابلية الشهادة.وتبلغ هذه اللغة أقصى حدّتها في نصوص حسن بلاسم، حيث تُقدَّم صور العنف بلا وساطة تلطيفية، فتضع القارئ في موقع الشاهد لا المتفرج. وينبّه البحث هنا إلى حدٍّ منهجي ثانٍ: فأعمال بلاسم المستدعاة تنتمي إلى القصة القصيرة لا إلى الرواية، ولذلك تُوظَّف في هذا المبحث بوصفها شاهدًا على تحوّل لغة الخراب في السرد العراقي عمومًا، لا بوصفها جزءًا من العيّنة الروائية التي تُختبر بها الفرضيات. وقد فُصلت في قائمة المصادر تبعًا لذلك.

[موضع اقتباس 6] يلزم اقتباس قصير يمثّل لغة التوثيق الحادّة، مع تحديد النص ورقم الصفحة.والنتيجة التحليلية لهذا المبحث أنّ الخراب في هذه النصوص ليس موضوعًا للوصف بل مادةً للأرشفة، وأنّ الرواية تؤدي هنا وظيفةً تعجز عنها الوثيقة الرسمية: فهي تحفظ لا أعداد الضحايا بل تفاصيل حيواتهم، أي ما يجعل المحو مستحيلًا.

المبحث الخامس: الفضاءات اليومية بوصفها حدودًا ـ البيت والشارع والجسر ودجلة

تنتقل القراءة في هذا المبحث من الحدود الأمنية المفروضة بعد 2003 إلى الحدود التي كانت قائمة قبلها في نسيج المدينة اليومي. والمقصود بذلك أربعة فضاءات مألوفة ـ البيت والشارع والجسر والنهر ـ تُقرأ هنا بوصفها حدودًا سيميائية فاعلة لا بوصفها تفاصيل واقعية، أي بوصفها عناصر تنظّم عالم النص وتوزّع فيه الأمان والخطر والانتماء.

أما البيت فهو الحدّ الأول والأقدم: الفاصل بين الخاص والعام. وينهار هذا الحدّ في المتن المدروس بثلاث صور متمايزة: المصادرة، حين يُهجَّر أهله بالقوة ويُحتلّ من غيرهم؛ والهجر، حين يُترك طوعًا فرارًا من الموت؛ والتحصين المرَضي، وهو ما تمثّله إيليشوا في «فرانكشتاين في بغداد» حين تحوّل بيتها إلى قلعة زمنية مغلقة. ويستحق موتيف المفتاح وقفةً خاصة، لأنه يكثّف أطروحة البحث كلها في صورة واحدة: فالمفتاح الذي يحتفظ به المهجَّر لبيتٍ لم يعد له باب هو الحدّ وقد فقد وظيفته واحتفظ بدلالته. وهذا بالضبط ما تفعله هذه النصوص بالمكان المفقود: تُبقيه فاعلًا في الدلالة بعد أن كفّ عن العمل في الواقع.وأما الشارع فقد تحوّل من فضاء عبور إلى فضاء احتمال: كان يُقاس بالمسافة فصار يُقاس بالمخاطرة. غير أنّ النصوص لا تسلّم بهذا التحول تسليمًا كاملًا، وهنا موضع الأهمية التحليلية: فمشاهد الباعة المتجولين ورواد المقاهي والأطفال اللاعبين في الأزقة ليست حشوًا واقعيًا ولا استراحةً وصفية، بل هي في بنية النص عناصر مقاومة تُبقي على وظيفة الشارع الأصلية بوصفه فضاءً للحياة المشتركة. وبمصطلح موايلن، هذه المشاهد هي البذرة التي تجعل النصّ ديستوبيا نقدية لا ديستوبيا مغلقة.

وأما الجسر فبنيةٌ نقيضة لذاتها: فهو حدٌّ وُجد ليُبطل أثر حدٍّ آخر هو الماء. ولذلك فإنّ إغلاقه أو تعطّله في السرد ليس حدثًا عرضيًا بل انقلابٌ دلالي كامل: الأداة التي تُلغي الحدّ تصير هي نفسها الحدّ. وتزداد هذه الدلالة حدّةً في الذاكرة البغدادية المعاصرة بما شهدته جسور المدينة من كوارث جماعية وإغلاقات أمنية طويلة، حتى صار الجسر في المخيلة موضع خطرٍ لا موضع عبور. ويوظّف السرد هذا الانقلاب توظيفًا بنيويًا حين يجعل الجسر موضعًا للحظات

مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
P- ISSN: 3007-3650 E- ISSN: 2706-8536
Journal of the College of Basic Education Vol.32 (No.139) 2026, pp.736-747

الانعطاف الحاسمة، أو نقطة رؤية بانورامية يُطلّ منها الراوي على مدينةٍ منقسمة تحته – وهو الموضع الوحيد في النص الذي تُستعاد فيه الرؤية الكلية للمدينة، ولو مؤقتًا.

وأما دجلة فهو الحدّ الطبيعي الذي يسبق المدينة نفسها ويفصل الكرخ عن الرصافة. وقد كان في المخيلة القديمة حدًّا محايدًا منظِّمًا، فصار في السرد بعد 2003 حدًّا محمّلًا: العبور بين الضفتين عبورٌ بين احتمالين أمنيين لا بين حيّين. والأخطر من ذلك أنّ النهر يتحول في بعض المشاهد إلى ناقلٍ للجثث والحطام، أي أنّ الحدّ الذي كان ينظّم المدينة صار يحمل نتائج انهيارها. وفي هذا الانقلاب تحديدًا يجتمع قطبا المحور اليوتوبي-الديستوبي في عنصر واحد: النهر بوصفه أصل الحضارة الرافدينية، والنهر بوصفه مقبرةً متحركة.

[موضع اقتباس 7] يلزم اقتباسان قصيران في هذا المبحث: أحدهما لموتيف المفتاح أو البيت المصادر، والآخر لمشهد الجسر أو النهر، مع تحديد الرواية ورقم الصفحة في كلٍّ منهما.

المبحث السادس: موقع الرؤية – بغداد من الداخل وبغداد من المنفى

يختم البحث تحليله بمتغيّر يفسّر كثيرًا من الفروق بين النصوص المدروسة، وهو موقع الرؤية: أيكتب الروائي المدينة من داخل الحدّ أم من خارجه؟

فالكاتب المقيم يكتب المدينة من داخل الحدّ، فيراه ملموسًا يوميًا: الحاجز الذي يمرّ به، والزقاق الذي يعرف تفاصيله. ولذلك تتسم كتابته بالكثافة التفصيلية والمرجعية المكانية الدقيقة، كما في اشتغال «فرانكشتاين في بغداد» على البتاوين بأسماء أزقته وفنادقه. أما الكاتب في المنفى فيكتبها من خارج الحدّ، فيتحول الحدّ عنده من مكاني إلى زمني: بغداد محفوظة في زمنٍ توقّف يوم المغادرة، ولذلك تغلب على كتابته الاستعادة الانتقائية والتكثيف الرمزي، كما في «طشّاري».والمهم منهجيًا أنّ هذا الفارق بنيويّ لا تفاضلي؛ فليست إحدى الكتابتين أصدق من الأخرى، وإنما لكلٍّ منهما وظيفة في اختبار الفرضيات: كتابة الداخل توثّق انهيار الحدّ المكاني توثيقًا تفصيليًا، وكتابة المنفى تُنتج البديل السيميائي لذلك الحدّ. ولا يكتمل التحقق من الفرضية الثالثة إلا بهما معًا، وهو ما يسوّغ ضمّ النمطين في عيّنة واحدة.

الاستنتاجات

تُصاغ الاستنتاجات هنا مقابلةً بالفرضيات لا تلخيصًا للبحث:

أولا: تحققت الفرضية الأولى تحققًا كاملًا في «فرانكشتاين في بغداد»، إذ ثبت أنّ فقدان المكان يعمل في النص بوصفه مبدأً بنائيًا لا موضوعة: فانهيار الحدّ بين الحيّ والميت وبين الضحية والجلاد ينعكس مباشرةً في تشظّي البؤرة السردية واستحالة الرؤية الكلية للمدينة. والنتيجة النظرية المترتبة على ذلك أنّ تحليل المكان في هذا المتن لا يستقيم بأدوات الوصف المكاني وحدها، بل يستلزم أدوات تحليل الحدّ.

ثانيًا: تحققت الفرضية الثانية مع تعديل. فقد ثبت أنّ الحنين يعمل عمل يوتوبيا ارتجاعية تُقاس بها الخسارة، غير أنّ مضمون هذه اليوتوبيا ليس المجد التاريخي كما قد يُتوقع، بل الحياة المدنية اليومية: المهنة، والجيرة، والشارع الآمن. وهذا التعديل ذو أثر منهجي، لأنه ينقل تحليل الحنين من حقل التاريخ الرمزي إلى حقل الاجتماع المديني.

ثالثًا: تحققت الفرضية الثالثة في «طشّاري» تحققًا نموذجيًا عبر المقبرة الإلكترونية بوصفها بنيةً مكانية بديلة مكتملة الوظيفة لا مجرد رمز للحنين. وبناءً عليه تنتمي النصوص المدروسة إلى الديستوبيا النقدية لا المغلقة، لأنها تُبقي في داخلها إمكانًا للبناء.

مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
P- ISSN: 3007-3650 E- ISSN: 2706-8536
Journal of the College of Basic Education Vol.32 (No.139) 2026, pp.736-747

رابعًا: وهي نتيجة عامة: إنّ إعادة كتابة بغداد سرديًا بعد 2003 فعلُ مقاومةٍ للمحو من طريقين متلازمين: حفظُ التفصيل الذي تهمله الوثيقة، وإعادةُ بناء الحدود سيميائيًا حين يتعذّر بناؤها ماديًا.

التوصيات

1. توسيع العيّنة زمنيًا لتشمل ما صدر بعد 2020، لاختبار ما إذا كانت الديستوبيا النقدية قد تحولت إلى نمط سردي مستقر أم إلى موضة عابرة.
2. إجراء دراسة موازية على السرد النسوي العراقي بعد 2003، لاختبار ما إذا كان الحدّ المكاني يعمل فيه بالكيفية نفسها.
3. مقارنة المتن العراقي بمتن سردي عربي آخر خرج من حربٍ أهلية ـ اللبناني تحديدًا ـ لبيان ما هو خاص بالحالة البغدادية وما هو مشترك.

المصادر والمراجع

اعتمد البحث نظام التوثيق PAA (الإصدار السابع)، مع ترجمة عناوين المصادر العربية إلى الإنكليزية بين معقوفتين وفق تعليمات المجلة.

أولا: المتن الروائي المدروس

الرملي، محسن. (2012). حدائق الرئيس [Gardens President's The]. المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

سعداوي، أحمد. (2013). فرانكشتاين في بغداد [Baghdad in Frankenstein]. منشورات الجمل.

كجه جي، إنعام. (2013). طشّاري [Tashari]. دار الجديد.

ثانيًا: نصوص سردية مساندة (خارج العيّنة)

بلاسم، حسن. (2009). معرض الجثث [Exhibition Corpse The]. (مجموعة قصصية).

ثالثًا: المراجع العربية

باشلار، غاستون. (1984). جماليات المكان [space of poetics The] (غالب هلسا، مترجمًا). المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

بحراوي، حسن. (2009). بنية الشكل الروائي [novelistic of structure The form]. المركز الثقافي العربي.

حمداوي، جميل. (2010). السيميولوجيا والسرد المكاني [spatial and Semiology narrative].

لحمداني، حميد. (2000). بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي [structure The text narrative the of]. المركز الثقافي العربي.

النعيمي، أحمد. (2016). إشكالية المكان في النص الأدبي [of sproblematic The text literary the in place].

مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
P- ISSN: 3007-3650 E- ISSN: 2706-8536
Journal of the College of Basic Education Vol.32 (No.139) 2026, pp.736-747

رابعًا: المراجع الأجنبية

M.) aysess Four imagination: dialogic The .(1981) M. M. Bakhtin, .Press Texas of University Ed.). Holquist,

the after century a from Stories :100 + Iraq .(2016) Ed.).) .H Blasim, .Press Comma invasion.

.Macmillan Palgrave fiction. science Arabic .(2018) I. Campbell,

University Oxford history. natural A Dystopia: .(2017) G. Claeys, .Press

times. modern in utopia-anti and Utopia .(1987) K. Kumar, .Blackwell

Smith,-Nicholson D.) space of production The .(1991) H. Lefebvre, .Blackwell Trans.).

.Allan Philip utopia. of concept The .(1990) R. Levitas,

of theory semiotic A mind: the of Universe .(1990) M. Y. Lotman, .Press University Indiana culture.

ion,fict Science sky: untainted the of Scraps .(2000) T. Moylan, .Press Westview dystopia. utopia,

de lieux Les history: and memory Between .(1989) P. Nora, .24–7 ،26 Representations, mémoire.

The Ed.),) Claeys G. In utopia. of concept The .(2010) F. Vieira, Cambridge .(27–3 pp.) literature utopian to companion Cambridge .Press niversityU

مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
P- ISSN: 3007-3650 E- ISSN: 2706-8536
Journal of the College of Basic Education Vol.32 (No.139) 2026, pp.736-747

BETWEEN BAGHDAD PLACE: LOST THE NARRATING IRAQI THE IN DYSTOPIA LIVED AND UTOPIA RECOVERED 2003 AFTER NOVEL

of Directorate General — Mahmood Majid Sinaa Lect. Asst.
Iraq Baghdad, ،1 Karkh-Al / Baghdad of tionEduca

Abstract

2003-post the in Baghdad of representations examines study This historical and narrative whose space a place": lost" a as novel Iraqi displacement. and violence fragmentation, by threatened is identity advances study the question, descriptive a from proceeding than Rather is novels these in place of sslo the that First, hypotheses. three tests and narrative within transformation a but story the to addition thematic a not boundary semiotic the of collapse the in manifest itself, structure from victim and dead, the from living the outside, from inside separating a as operates Baghdad war-pre for nostalgia that Second, tor.perpetra a than rather loss of measure a as functioning utopia, retrospective their interrogate texts mature more the that and restoration, of programme stop not do novels these ttha Third, it. to surrender than rather utopia own belonging of maps alternative generate but representation dystopian at .map referential city's the of collapse the for compensate that

spatial framework: governing single a to commits study The semiotic the on centred formulation, Lotmanian its in narratology -spatio a as chronotope anBakhtini the by supported and boundary delimited as strictly invoked are concepts other operator; temporal reading close through applied is framework This instruments. analytical textual four tracing ،2024 and 2003 between published novels Iraqi of the utopia, retrospective boundary, the of dissolution the manifestations: study The archive. as ruins and space, open the within space enclosed a mourn merely not does place lost the narrating that concludes orymem witnessing of archive an into ruin converts but city devastated narrative the that and urbanity, possible a imagining for laboratory a and of act epistemic and aesthetic an constitutes Baghdad of rewriting .erasure to resistance

Keywords: utopia; boundary; semiotic narratology; spatial aghdad; .novel Iraqi 2003-post memory; urban dystopia;.